مادة ضخمة ، وفصله عن تلك الكتلة وجعله يقوم مقام نقطة بدء أو بداية وان يكونهما . وبالنسبة لدارس النصوص هناك مفهوم مماثل عن التحديد الأولي لدى فكرة لويس التوسر عن الاشكالية (problematic) ، الوحدة المحددة الخاصة لنص أو مجموعة من النصوص ، يؤدي التحليل الى بروزها[١٢] غير ان الأمر في قضية الاستشراق (مقابل قضية نصوص ماركس التي يدرسها التوسر بالفعل) ليس مجرد مشكلة ايجاد نقطة انطلاق أو إشكالية ، بل أيضا مسألة تعيين النصوص والمؤلفين والفترات المناسبة أفضل من سواها للدراسة .

لقد بدا لي ضربا من الحماقة أن أحاول سرد رواية تاريخ موسوعي للاستشراق ، وذلك عائد قبل كل شيء إلى أنه إذا كان مبدأي الهادي سوف يكون « الفكرة الأوروبية عن الشرق » ، فلن يكون هناك حد بالفعل للمادة التي ينبغي علي معالجتها ، وثانيا ، لأن النمط الروائي بالذات لا يتناسب مع اهتماماتي الوصفية والسياسية . وثالثا ، لوجود كتب مثل ريموند شغاب : « **النهضة الشرقية** » وكتاب يوهان فوك عن « **الدراسات العربية في أوروبا حتى مطلع القرن العشرين** » وكتاب دوروني مليتزكي الأحدث عهدا « **الشأن العربي في انجلترا إبان القرون الوسطى** »[١٣] ـ وهي أعمال موسوعية تتناول أوجها معينة من اللقاء الأوروبي الشرقي على نحو يجعل من وظيفة الناقد أمرا مختلفا ضمن السياق الفكري والسياسي العام الذي رسمت خطوطه اعلاه .

بقيت هناك مشكلة اقتطاع أرشيف دسم جدا إلى أبعاد يمكن السيطرة عليها ، والأهم من ذلك ، رسم الخطوط العريضة لطبيعة نظام فكري ضمن تلك المجموعة من النصوص دون اتباع نظام غبي للتسلسل الزمني في الوقت ذاته . لذا فان نقطة بدايتي كانت التجربة البريطانية والفرنسية والأميركية في الشرق باعتبارها تؤلف وحدة ، وما جعل تلك التجربة ممكنة على صعيد الخلفيات التاريخية والفكرية ، وماذا كانت نوعية تلك التجربة وطابعها المميز . ولأسباب سوف أتناولها بالشرح حاليا قمت بتحديد مجموعة الأسئلة المحددة سلفا (لكنها لا تزال واسعة المدى على نحو غير مكبوح) وحصرها بالتجربة الانجلو ـ فرنسية ـ اميركية لكل من العرب والاسلام ، وهما الركنان اللذان مثلا الشرق سوية طيلة ما يقارب الألف عام . وفور الانتهاء من عملية الحصر هذه ، بدا لي أن قسما كبيرا من الشرق قد جرى اقصاؤه ـ الهند واليابان والصين وقطاعات اخرى من الشرق الأقصى ـ وذلك ليس لأن هذه المناطق لم تكن على جانب من الأهمية (فمن الواضح بجلاء انها كانت هامة) ، بل لأن الباحث يمكنه البحث في تجربة اوروبا عن الشرق الأدنى أو الاسلام بمعزل عن تجربتها للشرق الأقصى . ومع ذلك ، ففي فترات معينة من ذلك التاريخ الأوروبي للاهتمام بالشرق ، لا يمكن البحث في أقسام معينة من الشرق مثل مصر وسوريا والجزيرة العربية دون دراسة تورط اوروبا في الاقسام الأبعد من الشرق في الوقت ذاته وأهم هذه الأقسام : بلاد فارس والهند . وهناك حالة بارزة تؤيد هذا الرأي ، ألا وهي الصلة بين مصر والهند بالنسبة لبريطانيا في القرنين الثامن والتاسع عشر . وعلى نحو مماثل ، فان الدور الفرنسي في فك رموز كتاب « الأفستسا » (كتاب الزرديشتيين المقدس) ، وظهور باريس كمركز مرموق للدراسات السنسكريتية خلال العقد الأول من القرن التاسع عشر وحقيقة كون اهتمام نابوليون بونابرت في الشرق مرتبطا بوعيه للدور البريطاني في الهند : جميع هذه الاهتمامات في الشرق الأقصى قد أثرت مباشرة بالاهتمام الفرنسي في كل من الشرق الأدنى والاسلام والعرب .